د. محمد عابد. يو. بي
الأستاذ المساعد ومشرف البحوث، كلية فاروق، كيرالا، الهند

النزعات الجديدة في الأدب الإماراتي الحديث

دولة الإمارات العربية المتحدة هي دولة اتحادية مكونة من سبع إمارات وذات دستور وسيادة كاملة وعاصمتها مدينة أبوظبي، لعبت دولة الإمارات العربية المتحدة دورا فاعلا في نشر الوعي الثقافي وتنشيط الحركة الأدبية وتجديد الأفكار الحضارية وتنويع المنتوجات الثقافية، وللحركة الأدبية في دولة الإمارات العربية المتحدة تاريخ طويل وآثار متنوعة، وهذه المقالة تسلط الضوء على النزعات الجديدة في الأدب الإماراتي الحديث.

دولة الإمارات العربية المتحدة

لعبت دولة الإمارات العربية المتحدة دورا فاعلا في نشر الوعي الثقافي وتنشيط الحركة الأدبية وتجديد الأفكار الحضارية وتنويع المنتوجات الثقافية.

إن منطقة الخليج العربي منطقة لها تاريخها القديم حيث كانت طريقا ملاحيا بين الشرق والغرب ونقطة التقاء للعديد من الحضارات الهندية والفارسية واليونانية أيضا. ولا شك أن الملاحة تنقل القيم والعادات والمعتقدات والثقافات والأنظمة الاجتماعية والسياسية وأساليب الحياة بشكل عام. كان الخليج العربي أساسا مهما لهذا التفاعل الحضاري حيث كان مركزا متوهجا في قلب العالم القديم.

دولة الإمارات العربية المتحدة هيدولة تقع في شرق شبه الجزيرة العربية في جنوب غرب قارة آسيا مطلة على الشاطئ الجنوبي للخليج العربي. حدودها مشتركة من الشمال الغربي مع دولة قطر من الجنوب والغرب مع المملكة العربية السعودية ومن الجنوب الشرقي مع سلطنة عمان. تأتي تسمية الإمارات نسبة إلى الإمارات السبع المشكلة للإتحاد وهي: أبوظبي، دبي، الشارقة، عجمان، رأس الخيمة، أم القيوين والفجيرة.

الشارقة في نشر الوعي الثقافي

لقد أثرت ريادة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي على تطوير الآفاق الثقافية وتوسيع المدارك الفكرية والملكات الابداعية. لأن صاحب السمو كان في طليعة المثقفين العازفين عن الحكم، والذين لا يريدون التفريط بحريتهم ومواهبهم مهما كانت الإغراءات المتعلقة بالسلطة كوسيلة للعمل العام، ومن حسن الحظ أنه قبل الدخول في معمعة السلطة نجح في تحويل الشارقة في سنوات قليلة إلى واحة للثقافة والمعرفة وغدت المركز الثقافي لدولة الإمارات العربية المتحدة عبر أنشطتها السنوية كمعارض الكتاب والندوات والمؤتمرات وعبر مكتباتها ومسارحها ومتاحفها وإصداراتها الثقافية المتنوعة واستطاع سمو الشيخ أن يثبت علميا أن الحاكم المثقف قادر على أن يكون له ملمحه الاستثنائي الخاص في سياق تعامله مع الإنسان والأرض والمستجدات المحلية والعربية والدولية «.

لقد شهدت إمارة الشارقة خلال أربعة عقود ماضية العديد من الإنجازات في مختلف المجالات العلمية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بفضل صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي التي انتهجها صاحب السمو. وله إسهامات جليلة في ترسيخ العلاقات مع الدول العربية والإسلامية إلى جانب تنمية المفاهيم بين العرب والغرب. ومن إنجازاته الثقافية والتربية إنشاء دائرة الثقافة والإعلام وجامعة الشارقة والمؤسسة العربية للعلوم والتكنوجيا والجامعة الأمريكية في الشارقة وأكاديمية الشارقة للعلوم الشرطية وتطوير العملية في منطقة الشارقة بالإضافة لاهتمامه بمعارض الكتب.

خطة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد

القاسمي المستقبلية لتوسيع إنجازاته وتنويعه وتفعيله على مختلف الأصعدة مثالية جدا وذلك عن مشاركة الشارقة في معرض فرانكفورت للكتاب والتطور والتجديد في بينالي الشارقة وهيئة المسرح العالمي والاختبار العربي وأيام الشارقة الثقافية والمسرحية والتراثية وإقامة قصر الثقافة وتخصيص مشروع للنهوض بهذه الثقافة.أما إنجازات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان القاسمي في مجال الإدارة والأشغال والخدمات والزراعة فمنها إنشاء المجلس التنفيذي والمجلس الاستشاري والنهضة الحضارية من خلال البلدية وإدارتها ووزارة الأشغال العامة ودائرة التخطيط.

لعبت إمارة الشارقة دورا فاعلافي نشر الوعي الثقافي وامتداده إلى باقي الإمارات المجاورة كما كانت للمحادثات العربية والسياسية التي تدور في مجالس الشيوخ والوجهاء أثر كبير.

النزعات الجديدة في الأدب الإماراتي الحديث

علاقة الإمارات بالشعر كأول علامة على ظهور الأدب هي علاقة قديمة جدا، خاصة وأن موقعها الاستراتيجي في شرق شبه الجزيرة العربية المطلة على ساحل الخليج العربي وبالقرب من مضيق هرمز جعلها بالإضافة إلى أنها منطقة عبور وتلاق تجاري وثقافي بين الشرق والغرب. احتفظ الساحل بموقعه الاستراتيجي والأدبي حتى فترة قريبة جدا من القرون الماضية بحيث أصبحت المنطقة بؤرة للصراع بين الدول المتنافسة (مثل البرتغال والإسبان ثم الإنجليز) من أجل الوصول إلى الهند والصين.سكان هذه المنطقة الجغرافية ينحدرون من القبائل العربية التي تعود جذورها إلى عصور ما قبل الإسلام وهم القبائل التي اعتنقت الإسلام عندما أرسل محمد صلى الله عليه وسلم.

سرعان ما بدأت الخلافات السياسية بالظهور في هذه المنطقة خاصة بعد سقوط الدولة العباسية التي كانت إيذانا بظهور طوائف وإمارات إسلامية مختلفة يحكمها حكام محليون على أساس قبلي. وفي العصور الوسط سكنت قبائل البكر في هذه المنطقة وسادت في الشمال وقبائل تميم في الوسطوامتدت أراضيهم إلى الجنوب في الربع الخالي. أماهذه المنطقة بعد الإسلام فاستمرت المنطقة في كونها قلب عالم امتد في قارات العالم القديم آسيا وإفريقيا وأوروبا. وهذا الجو الثقافي ساعد العرب على إنشاء حضارات ملأت العالم.

لقد ازدادت أهمية المنطقة باكتشاف النفط في أراضيها مما جعلها تلعب دورا مهما، ليس فقط على مستوى الدول الواقعة بالقرب من شبه الجزيرة العربية ولكن على المستويين العربي والعالمي. رغم الظروف لم يحاول أهل المنطقة العيش بمعزل عن مجريات الأحداث الخارجية والمتغيرات والتطورات وكان لهم مواقفهم في كل القضايا من السياسة إلى شؤون الأدب والفكر. وهذا الجو السياسي والثقافي لقد انعكس في كتابات الشعراء لتعبر بشكل واضح عن مدى تأثر سكان وأهالي المنطقة بالأحداث الداخلية أو الخارجية وكذلك مدى صلة شعراء الإمارات بالحركات الأدبية والفكرية في العالم العربي.

إن الظروف التاريخية والهموم السياسية التي عصفت بالمنطقة، سواء في المشاكل الداخلية من مشاكل الحكم والإمارة، أو الخارجية من الاستعمار وويلاته ما كان يصرفها عن العناية بأدبها بشكل يحفظه للأجيال القادمة. وعرفت المنطقةالمطابع ودور النشر في فترة متأخرة تحديدا في أواخر الخمسينيات إضافة إلى ضيق سوق النشر لندرة القراء والمقبلين على الأدب من المواطنين ولم تتحول المنطقة إلى منطقة جذب إلا في بداية السبعينات وقيام الاتحاد.

أنجبت هذه المنطقة أسماء بارزة كسلطان العويس وصقر القاسمي وسالم العويس وحبيب الصايغ ونجوم الغانم وناصر جبران وأحمد راشد ثاني وظبية خميس وأحمد العسم وخالد البدور وخلود المعلا وجمعة الفيروز وإبراهيم الهاشمي وثاني السويدي وحمدة خميس وعادل خزام وشيخة المطيري وصالحة

غابش وميسون القاسمي وعلي العندل وعبدالعزيز جاسم وشهاب غانم وعلي المازمي وأسماء الحمادي وسالم أبو جمهور وغيرهم. تنبغي الإشارة في البدء إلى أن الأجيال الشعرية في دولة الإمارات هي أجيال متداخلة إلى حد كبير، وهذه الأجيال المتداخلة أنتجت تيارات متداخلة بطبيعة الحال في الأجناس الأدبية المختلفة. وهذا التداخل بين الأجيال وبين التيارات الشعريةأدى إلى إبداع الأجيال.

أما كتاب الرواية الذين أنجبتهم هذه المنطقة فهم سارة الجروان وميسون القاسمي وريم الكمالي ونادية النجار ومنى التميمي ولطيفة الحاج وإيمان اليوسف وراشد عبدالله النعيمي وعبيد بوملحة وأسماء الزرعوني وزينب الياسي وفطمة المزروعي وعادل خزام ومريم الشناصي وغيرهم، لقد تمكنت الرواية في الإمارات من التعبير عن مناحي الحياة فبدأت تستلهم صور القضايا الأسرية من واقع البيئة المحيلة كما عالجت الرواية عادات الزواج في الإمارات ثم ما لبثت أن الرواية راحت بدورها تستكمل هذه اللحظة التاريخية في التعبير عن تطلعات المجتمع الإماراتي، بل إلى التطلعات الإنسانية، وتطورت وتغيرت بفعل التطور الحضاري.

ظهرت في مجال القصة شيخة الناخي ومريم جمعة فرج وابراهيم مبارك وعبدالحميد أحمد وعبد العزيز الشرهان ومحمد ماجد السويدي وصالحة غابش وظبية خميس فاطمة المزروعي نجيبة الرفاعي وناصر الظاهري وغيرهم. تتواجد موضوعات القصة كالموضوع الحضاري وإشكالية الذات في علاقتها بالآخر وصورة الأب والزوج والرجل الآخرالأم وصورة الزوجة والمرأة والوعي السياسي والحقوقي والموضوع الاجتماعي كالبحث عن الذات والمعاناة والحنين.

وإن الاحتكاك الثقافي لهذه المنطقة مع الآخر من خلال العلاقات التجارية التي كانت مستمرة بين مناطق شبه الجزيرة العربيةوتمت اللقاءات خاصة في الأسواق ومع الدول الأخرى أنتج تيارات متداخلة في الأنواع الأدبية المختلفة ونزعات جديدة. وظهرت النزعات العديدة مثل الموضوع التاريخي والموضوع العائلي وكذلك قضايا المرأة الخليجية كالحجاب والتمرد الاجتماعي وبعض المعتقدات الاجتماعية وأيضا قضايا الزواج والطلاق.